

## أسس النظرية البنيوية في اللغة العربية

د. جمعة العربي الفرجاني

قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - الزاوية

جامعة الزاوية

الأصل اللغوي لكلمة بنية:

إن الأصل اللغوي لكلمة بنية: STRUCTURE، فهو مشتق من الكلمة اليونانية: STRUERE، والتي تعني البناء أو الطريقة التي يقوم عليها بناء ما، ثم امتد مفهوم ومعنى الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما من وجهة النظر الفنية المعمارية، وبما يؤدي إليه من جمال تشكيلي، وتشير المعاجم الأجنبية على أن فن المعمار يستخدم هذه الكلمة منذ منتصف القرن السابع عشر<sup>(1)</sup>.

ونجد كلمة بنية في اللغة العربية تعني: "كل ما هو أصل فيه وجوهري، وثابت لا يتبدل

بتبديل الأوضاع والكيفيات"<sup>(2)</sup>.

وقد وردت كلمة بنيان في القرآن الكريم في أكثر من موقع فيه، قال تعالى: ﴿فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم﴾<sup>(3)</sup>، وقوله تعالى: ﴿والذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء﴾<sup>(4)</sup>، وهنا نجد أن اللغويين العرب قد تصوروا هذا الأصل على أنه الهيكل الثابت للشيء، فالنحاة العرب قد أتوا بكلمة: البناء في مقابل الإعراب، ومن ذلك جاءت بعض تسمياتهم لبعض موضوعات النحو منها: المبني للمعلوم والمبني للمجهول<sup>(5)</sup>.

### البنيوية في الاصطلاح:

يصعب الوقوف على تعريف شامل للبنيوية، فقد عرفها كثير من علماء اللغة الغربيين والعرب بتعريفات مختلفة، منها ما كان شاملا لها، ومنها لم يكن شاملا، بل يتعرض لبعض معانيها، فقد عرفها العالم اللساني الفرنسي إميل بنفست بقوله: "البنية هي ذلك النظام المنسق الذي تتحد كل أجزائه بمقتضى رابطة تماسك وتوقف، تجعل من اللغة مجموعة منتظمة من الوحدات، أو العلامات المنطوقة التي تتفاعل، ويحدد بعضها بعضا على سبيل التبادل"<sup>(6)</sup>. وعرفها العالم اللغوي لالاند بقوله: "إنّ البنية هي كل مكون من ظواهر متماسكة، أو متضامنة بحيث يكون كل عنصر فيها متعلقا بالعناصر الأخرى، ولا يستطيع أن يكون ذا دلالة إلا في نطاق هذا الكل"<sup>(7)</sup>.

ويرى رولان بارث بقوله: "مستعمل بكثرة في جميع العلوم الاجتماعية بكيفية لا تميز بعضها عن البعض الآخر، إلا عند المجادلة حول مضمونها"<sup>(8)</sup>. ويعرفها الخليلي: "بأنها موقف فلسفي يزعم أن ما يدعى بالحقيقة ما هي إلا تصور ذهني عند الإنسان، معتقدا أنه تقصاها واكتشفها"<sup>(9)</sup>.

إذاً فالبنيوية هي منهج فكري، وأداة للتحليل، تقوم على فكرة الكلية، أو المجموع المنتظم، اهتمت بجميع نواحي المعرفة الإنسانية، وإن كانت قد اشتهرت في مجال علم اللغة، والنقد الأدبي<sup>(10)</sup>.

ومن خلال تلك التعريفات السابقة يمكن استخلاص ما يأتي:

- 1- أن هناك قاسماً مشتركاً بين البنيوية في جميع مجالاتها المختلفة، وبين التصورات المشتركة في جميع المدارس الخاصة بالخطاب اللساني.
- 2- إن البنية ليست مجرد جمع بين العناصر، وإنما هي مجموعة من الظواهر المتضامنة التي يستند كل منها إلى الآخر.
- 3- إن النظام اللغوي وسيطرته على عناصره، معناه أن كل عنصر يتوقف داخل هذا النظام على بقية العناصر الأخرى، وهذا لا يكون إلا بفضل علاقته بما عداه.
- 4- إن التماسك في البنية يحقق كل عنصر من هذه العناصر هدفه من خلال علاقته بما عداه من بقية العناصر.

فالبنيوية منهج فكري نقدي مادي غامض، يذهب إلى أن كل ظاهرة إنسانية كانت، أم أدبية تشكل بنية لا يمكن دراستها إلا بعد تحليلها إلى عناصرها المؤلفة منها، ويتم ذلك دون تدخل فكري للمحلل أو عقيدته الخاصة، ونقطة الارتكاز في هذا المنهج هي الوثيقة، فالبنية في هذا الإطار هي محل الدراسة، والبنية تكتفي بذاتها، ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى أي عنصر من العناصر الغريبة عنها، وفي مجال النقد الأدبي، فإن الانفعال أو الأحكام الوجدانية عاجزة عن تحقيق ما تتجزه دراسة العناصر الأساسية المكونة لهذا الأثر، ولذا يجب فحصه في ذاته من أجل مضمونه، وسياقه، وترابطه العضوي، والبنيوية بهذه المثابة تجد أساسها في الفلسفة الوضعية لدى كونت، وهي فلسفة لا تؤمن إلا بالظواهر الحسية<sup>(11)</sup>.

فقبل إن البنيوية: ثالث حركات ثلاث في تاريخ الفكر الحديث يستحيل بعدها أن نرى العالم ونعابنه كما كان الفكر السابق يرى العالم ويعابنه، فمع ماركس ومفهومي الجدلية والصراع الطبقي، أصبح محالاً أن نعابن المجتمع كما كان يعينه من سبق ماركس، ومع الفن

أصبح محالاً أن نرى كرسياً كما يراه الذين سبقوا " بيكاسو " ومع البنيوية ومفاهيم التزامن، الثنائيات الضدية، والإصرار على أن العلاقات بين العلامات لا العلامات نفسها، وأصبح محالاً أن نعاين الوجود الإنساني والثقافة والطبيعة، كما كان يعاينه الذين سبقوا البنيوية<sup>(12)</sup>.

### نشأتها:

تمتد الجذور التاريخية لنشأة النظرية البنيوية إلى عهد سقراط، ولكنها تبلورت في صيغتها في ضوء نظريات وأفكار كثير من المنظرين، مثل: أوزوبل، وبياجيه ودي سوسير، وميشيل فوكو، وغيرهم.

ولكن يرجع الفضل في نشأة الدراسات البنيوية في العصر الحديث إلى العالم السويسري فرديناند دي سوسير؛ إذ أن آراءه في التفرقة بين اللغة والكلام، والدال والمدلول، وفي أولوية النسق أو النظام على باقي عناصر الأسلوب، وفي التفرقة بين التزامن والتعاقب، وكذلك استخدامه مصطلح بنية في العصر الحديث بالمؤتمر الذي عقده الشكلاونيون الروس لعلوم في مدينة لاهاي سنة: 1928م، هي التي أسست لنشأة الدراسات البنيوية.

ومنهم من يرى أن رومان جاكسون، هو أول من استخدم مصطلح البنيوية في العصر الحديث، وذلك في البيان الذي أصدره في أعمال المؤتمر سنة: 1939م<sup>(13)</sup>.

وبنيت أساسيات البنيوية الحديثة ، حينما بين فرديناند دي سوسير بأن سياق اللغة لا يقتصر على التطور، وبأن تاريخ الكلمة لا يعرض معناها الحالي، ويكمن السبب في وجود النظام، ولم يكن دي سوسير يستعمل لفظة بنية، بالإضافة إلى وجود التاريخ اللغوي، فالعلاقة الأساسية التي تدخل في نطاق اللغة هي عبارة بين الشارة والمعنى، ومن الطبيعي أن تؤلف

مجموعة المعاني نظاما يرتكز على قاعدة من التمييزات والمقابلات؛ إذ إن هذه المعاني تتعلق ببعضها، كما تؤلف نظاما مترامنا؛ إذ إن هذه العلاقات مترابطة.

وإذا كانت البنيوية الأولية مترامنة أساسا في مقابل النظرية التطورية لقواعد اللغة المقارنة، في القرن التاسع عشر، فإن ذلك يعود إلى ثلاثة أسباب:

1- وهو يحمل طابعا عاما، ويتعلق بالاستقلالية النسبية لقوانين التوازن بالنسبة لقوانين التطور.

2- فهو إرادة التخلص من العنصر الغربية على علم اللغة، والاكتفاء بميزات النظام الملازمة.

3- إن الميزة التزامنية للبنيوية تتعلق بوضع خاص بعلم اللغة<sup>(14)</sup>.

#### بماذا تسمى البنيوية:

يسمي بعض النقاد البنيوية بالثورة النظرية، أو المنهجية، وذلك لأنها ليست سوى منهج من المناهج الحديثة التي برزت إثر الثورة المنهجية الحديثة؛ ولأنها تؤمن باللغة، وتثق فيها، وفي إمكانية التحليل الموضوعي.

فالبنيوية قد أعادت الاعتبار للغة، حيث لم تعد اللغة وسيلة لنقل الأفكار والمفاهيم القبلية، وإنما هي الأساس الفاعل والمنتج لهذه المفاهيم التي تنقل بواسطتها، وفي الواقع فإن اللغة كانت ولا تزال تلعب الدور الحاسم والمنوط بها في عمليات الوصف، والنظر في منظومة الأفكار المتداخلة.

وقد بسطت البنيوية جناحيها خلال العقدين الماضيين من القرن العشرين على كثير من العلوم الإنسانية التقليدية، ومجالات النشاط الإنساني، وتمكنت من التزاوج مع طرائق التفكير

النقدية الأخرى، فتبلورت بنوية شكلانية، وبنوية نفسانية، وأخرى واقعية ماركسية، فإن البنوية وهي تقتحم منهجيا سبل المعرفة المعاصرة كأنها وجدت نفسها في ظرف تاريخي محمولة حملاً على أن تبلور لنفسها محتواً فكرياً، وعلى أن تقدم نفسها كفلسفة مضادة، وأن تنصب في موقع النقض بدل طريق الاسترسال<sup>(15)</sup>.

فالبنوية هي بحث شمولي يسعى إلى توحيد جميع العلوم في نظام واحد، وأن يفسر علميا كل الظواهر الإنسانية، ولذلك استقطب هذا البحث كافة المجالات المعرفية بما فيها الفلسفة، وهذا ما حاول ليفي شتراوس توضيحه عندما قال: بأن البنية ليست واقعا تجريبييا، بل واقعا كليا، يقبع وراء المعطيات المباشرة.

ويعد كلود ليفي شتراوس 1908م، زعيم البنائية الفرنسية، ومؤسس النظرية البنوية في العلوم الاجتماعية، وأول من طبقها في ميدان الأنثروبولوجيا، فشملت المجتمع والفكر والثقافة، فمنهم من يرى أن: الفكر البنوي كله يمكن أن يتحدد بأعمال شتراوس، بل وهناك من غالى وأكد القول وأكد أن: البنوية ما هي إلا ليفي شتراوس، وقد توسع في نظرتة للبنائية لتشمل الكون بأسره؛ لأنه يرى أن البنوية مجرد منهج يمكن تطبيقه على أي نوع من الدراسات<sup>(16)</sup>.

ويرى العالم جان بياجيه السويسري الأصل أن: "تاريخ البنوية العلمية طويل، فالدرس الذي يجب أن نستخلصه من هذا التاريخ هو أن البنوية لا يمكن أن تشكل موضوعا لعقيدة، أو لفلسفة، وإلا لأمكن تجاوزها بسرعة، بل تشكل بالضرورة طريقة مع كل ما تتطوي عليه هذه اللفظة من التقنية ومن الالتزامات والشرف الفكري"<sup>(17)</sup>.

ويرى المفكر الفرنسي ميشال فوكو 1936 - 1984م: أن البنوية ليست فلسفة، وإنما يمكن ربطها بفلسفات مختلفة، لذلك ربط ليفي شتراوس منهجية البنوية بفلسفة مادية الطابع، وعلى عكس الذي قام به العالم جيرو برربط طريقته الشخصية في التحليل البنوي بفلسفة مثالية،

واتخذ من المنهج النبوي أساسا للربط بين دراسة التاريخ، ونظرية المعرفة، وانطلق في رؤيته للتاريخ من تعريفه للنبوية بأنها "مجموعة من العلاقات الثابتة بين عناصر متغيرة، وأن هذه العلاقات يمكن أن ينشأ على منوالها عدد لا حصر له من النماذج"، وبذلك يرفض آراء العديد من البنيويين حول استقلالية الخطاب وانغلاقه، وتحديد الخطاب بالمستوى الأبنستولوجي الثقافي الضيق.

ويرى أن الخطاب بنية إدراكية لا شعورية ذات طابع فكري خالص، تنمو وتطور وفق نظام داخلي خاص، وهو وسيلة لقوة تتبناه مجموعة من أفراد داخل المجتمع يشتركون في الأهداف والمصالح، ويمثلون نسيجاً اجتماعياً وثقافياً متميزاً داخل المجتمع الإنساني في لحظة تاريخية محددة<sup>(18)</sup>.

إلا أن التوسير استعمل مفاهيم التحليل النبوي داخل فلسفة من الواضح أنها ماركسية الاتجاه، لذلك اعتقد أن بإمكاننا إثبات وجود رابط وحيد وحتمي بين النبوية والفلسفة<sup>(19)</sup>.

لقد ركزت النبوية في آلية تحليلها للنص على دراسة البنى اللغوية، وإبراز العلاقات التركيبية بين عناصر الجملة دون الاهتمام بالبعد الدلالي الناتج عن تغير التراكيب<sup>(20)</sup>.

إن للنبوية منظوراً معرفياً تجاه النص وكيونته، وتجاه متلقيه وناقده، حيث نظر البنيويون إلى النص من زاوية هيكلية على أنه مجموعة من الأنساق المضبوطة تتمتع باستقلالية تجعل الدارس له تابعا لمادته سجيناً لصياغتها، ومن ثم لزم على العامل في حقلها عدم تخطي أسوارها، أو إضافة شيئاً من اجتهاداته، وبالتالي المساهمة في إقصائه، وإلغاء دوره، كما عزفت عن مقاصده ونواياه، ونعتت كل ذلك بعدم الجدوى واعتبرت كل ذلك لا فائدة منه<sup>(21)</sup>.

### أهداف النبوية:

تهدف النبوية اللغوية إلى عدة أمور يمكن تلخيص أهمها فيما يأتي:

- 1- اكتناه جدلية الخفاء والتجلي، وأسرار البنية العميقة وتحولاتها.
- 2- تغيير الفكر في معابنته للثقافة، والإنسان والأدب والشعر.
- 3- نقله من فكر تطغى عليه الجزئية والسطحية، والشخصية إلى فكر يتزعرع في مناخ الرؤية المعقدة المتقصية للموضوعية، والشمولية والجزئية في آن واحد.
- 4- تحديد المكونات الأساسية للظواهر، ثم اقتناص شبكة العلاقات التي تشع منها وإليها، والدلالات التي تتبع من هذه العلاقات.
- 5- البحث عن التحولات الجوهرية للبنية التي نشأ عبرها تجسيدات جديدة لا يمكن أن تفهم إلا عن طريق ربطها بالبنية الأساسية، وإعادتها إليها من خلال وعي حاد لنمطي البنى: البنية السطحية، والبنية العميقة.
- 6- استخراج العلاقات الخفية والعميقة في النص، والتي تعد هي المؤسس للمعنى، وذلك أن العلاقات بين الثنائيات قد تكون علاقات نفي سلبي، وتضاد مطلق.
- 7- تحقيق رؤية شمولية للأشياء تتجاوز شروط الزمان والمكان، والفرد، واللغة، وتجسد لعلاقات جدلية بين الجزئي والكلي، والعام والخاص<sup>(22)</sup>.

#### أسس البنيوية:

- إن للبنيوية اللغوية العديد من الأسس التي اعتمدت عليها في تأسيس نظريتها، نجملها فيما يأتي:
- 1- النسق أو النظام: وهو ما جاء من الكلام على نظام واحد، والتنسيق معناه التنظيم، فهو يعني النظام أو الترتيب.
- فالنسق ليس سوى مجموعة من الفوارق الصوتية المتألفة مع مجموعة أخرى من الفوارق الفكرية، إلا أن هذه المقابلة بين عدد من الرموز السمعية، وعدد آخر من الأفكار منقطع



من جملة الفكر، تولد نظاما من القيم الخلاقية، هذا النظام هو الذي يمثل الرابطة الفعالة بين العناصر الصوتية، والنفسية داخل كل رمز<sup>(23)</sup>.

فبذلك يكون مجموعة من القضايا المرتبة في نظام معين، بعضها مقدمات لا يبرهن عليها في النسق ذاته، والبعض الآخر يكون نتائج مستنبطة من هذه المقدمات<sup>(24)</sup>.

وهناك اختلافات قائمة بين كل من النسق والبنية، نجملها فيما يأتي:

أ- يشترك النسق والبنية في اعتمادهما على الكلية والعلاقات والثبات، والتوازن بين العلاقات والدراسة التزامنية.

ب- يعتمد كل منهما على مفهوم النموذج، فالنسق يشكل تلازما واقعا لنموذج ما، والنموذج يشكل مقاربة لمفهوم النسق.

ج- يختلف النسق عن البنية في أن كل نسق نظري له بنية منطقية محددة، ومعنى هذا أن الأنساق تتألف من عناصر، وعلاقات وبنى، فالبنية أحد المكونات الأساسية للنسق<sup>(25)</sup>.

2- التزامن: ويقصد به زمن حركة العناصر فيما بينها في البنية، وتتحرك العناصر في زمن واحد، هو زمن نظامها، فإذا كان استمرار النظام يفترض استمرار البنية، وثبات نسقها، فإن التزامن يرتبط بهذا الثبات الذي يشكل حالة، أي أنه يرتبط بما هو متكون، وليس بما هو في مرحلة التكون، أي بما هو مكتمل، وليس بما يكتمل بما هو بنية وليس بما سيصير بنية<sup>(26)</sup>.

ويرى دي سوسير أن التزامنية تمثل محورا أفقياً تقوم فيه العلاقات بين الأشياء المتواجدة، أو المتوقعة على أساس ثابت ليس للزمان فيه أي دخل، في حين أن وجهة النظر التعاقبية تمثل محورا عمودياً تقوم فيه العلاقات بين الأشياء المتتابعة على أساس التغير الزمني أو التاريخي<sup>(27)</sup>.

**3- التعاقب:** إن التعاقب والتزامن معنيين متكاملين؛ إذ لا نستطيع أن نفهم مفهوم التعاقب إلا في ضوء مفهوم التزامن، والتعاقب هو من التزامن أي زمن تخلخل البنية، زمن تهدم العنصر، وهو بذلك انفتاح البنية على الزمن<sup>(28)</sup>.

فالدراسة التعاقبية تخدم الباحث اللساني من وصفها للنظام، وذلك بما تقدمه من بحث في العلاقات القائمة بين عناصره، واستنباط القوانين المتحركة فيها، وكذلك دراسة تتبع وتطور اللغات العالمية، ونفس الأمر يصدق على الدراسات والأبحاث البنيوية، إن التعاقب في النظام البنيوي لا يعني التطور والارتقاء من بنية إلى أخرى، لكن التعاقب كمفهوم بنيوي يعني استمرار البنية نفسها التي تتعرض للخلل بسبب تهدم عنصر من عناصرها، ثم لا تلبث هذه البنية نفسها أن تستعيد نظامها لتستمر به بعد دخول العنصر البديل فيها، فهذه البنية إذا لا تتغير ككل، والتعاقب لا يعني زمن هذا التغيير الكلي<sup>(29)</sup>.

**وللبنيوية مستويات لغوية تدرسها، يمكن حصرها في الآتي:**

- 1- المستوى الصوتي: حيث تدرس الحروف ورمزيتها، وتكوينها الموسيقي من نبر وتنغيم وإيقاع.
- 2- المستوى الصرفي: وتدرس فيه الوحدات الصرفية، ووظيفتها في التكوين اللغوي والأدبي نفسه.
- 3- المستوى المعجمي: وتدرس فيه الكلمات لمعرفة خصائصها الحسية التجريدية، والحيوية والمستوى الأسلوبي لها.
- 4- المستوى النحوي: وهو خاص بدراسة تأليف وتركيب الجمل، وطرائق تكوينها، وخصائصها الدلالية والجمالية.
- 5- مستوى القول: لتحليل تراكيب الجمل الكبرى لمعرفة خصائصها الأساسية والثانوية.

6- المستوى الدلالي: وهو يهتم بتحليل المعاني المباشرة، وغير المباشرة، والصور المتصلة بالأنظمة الخارجية عن حدود اللغة، والتي ترتبط بعلوم النفس والاجتماع، وتمارس وظيفتها على درجات في الأدب والشعر.

7- المستوى الرمزي: الذي تقوم فيه المستويات السابقة بدور الدال الجديد الذي ينتج مدلولاً أدبياً جديداً يقود بدوره إلى المعنى الثاني، أو ما يسمى باللغة داخل اللغة<sup>(30)</sup>.

### مضمون البنيوية:

إن دراسة أي ظاهرة، أو تحليلها من الوجهة البنيوية، يعني أن يباهر الدارس، أو المحلل وضعها بحيثياتها وتفصيلها وعناصرها بشكل موضوعي، من غير تدخل فكره، أو عقيدته الخاصة في هذا، أو تدخل عوامل خارجية، مثل: حياة الكاتب، أو التاريخي في بيان النص، وكما يقول البنيويون: "نقطة الارتكاز هي الوثيقة، لا الجوانب، ولا الإطار، وأيضاً: البنية تكتفي بذاتها، ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى أي من العناصر الغريبة عن طبيعتها.

و تسعى إلى اكتشاف ظاهرة معينة، وتمييزها بدقة، و تقصي درجة جذريتها، وطغيانها على الفكر الإنساني، والأعمال الأدبية.

ومن أبعادها: القدرة على اكتناه بنى أكثر شمولية، وخفاء من بنية نص شعري محدود عبر وعي طبيعة المكونات الفعلية لهذه البنى في الثقافة الإنسانية والعلاقات الجدلية التي تتكون بينها من حيث هي أطراف لثنائية ضدية عميقة التجذر.

وقد ركزت البنيوية على شيئين، واهتمت بهما كثيراً هما:

### أولاً- اللاتاريخية:

سادت النزعة اللاتاريخية لدى البنيويين وتعتمد في تكورها للمنظور التاريخي على الثنائية اللغوية، وكان شتراوس مثلاً يدرس البنى الاجتماعية، والعقلية لمختلف المجتمعات

ويتجاهل المحور التاريخي تجاهلاً مطلقاً، ويحاول أن يستخرج بعض الأنساق الثابتة التي يرى أنها كامنة في اللاوعي، ويذهب دريدا وفوكو إلى أنه لا يوجد شيء يسمى التاريخ، وأن الفهم الشائع لدى البنيويين حول علاقة التاريخ باللغة، هو أن اللغة هي التي أوجدت مفهوم التاريخ، وليس العكس<sup>(31)</sup>.

### ثانياً - موت المؤلف:

إن النقد الألسني لم يعد يبحث عن ذات المؤلف كما في السابق؛ لأنه ببساطة لم يعد بحاجة إلى ذلك، إن الخطاب يثي بكل الظروف التي رافقت تشكله، فهو يعكف على الاستدلال عن ذاته بذاته دونما حاجة إلى البحث عنها خارج الخطاب، والخطاب يقتضي كل حيثيات نشوئه، وهذا بالطبع يعفينا من أي بحث عن مبررات الخطاب من خارجه، فالمبدأ الأساسي في النقد الألسني ينطلق من مبدأ المحايثة، وهو دراسة النسق اللغوي في ذاته من دون العودة إلى تاريخه، ولا إلى علاقته بالمؤلف، لم يعد كل ذلك لا زماً.

وألغت اللسانيات والبنيوية المؤلف عندما ركزت على الدال والمدلول، وأقصت المرجع، وكل ما هو مادي خارجي عن المعط اللغوي، وقد مكنت عملية تقويض المؤلف من أداة تحليلية ثمينة، وذلك عندما بينت أن عملية القول وإصدار العبارات عملية فارغة في محمولها، وأنها يمكن أن تؤدي دورها على أكمل وجه دون أن تكون هناك صورة لإسنادها إلى المتحدثين، فمن الناحية اللسانية ليس المؤلف إلا ذلك الذي يكتب، مثلما أن الأنا ليس إلا ذلك الذي يقول: إن اللغة تعرف الفاعل ولا شأن لها بالفاعل أو الشخص، وهذا الفاعل الذي يظل فارغاً خارج عملية القول التي تحددته، يكفي كي تقوم اللغة أي كي تستنفذ<sup>(32)</sup>.

وترفض البنيوية تدخل المؤلف، أو تأثير حياته على بنية النص، وتطورت النزعة إلى إعلان موت الإنسان، وموت المؤلف، كما يرى رولان بارت، وميشيل فوكو، ويقطع رولان

بارت صلة المؤلف بالنص الذي خلقه على أكثر من مستوى، فهو يرى أنه حالما تبدأ الكتابة، يأخذ المؤلف بالموت، ولا يخفى على أحد أنها مقولة أحادية، وعاجزة، وهذا ما أوجد مبدأ التركيز على سلطة القارئ، وسلطة للنص بهدف إلغاء دور المؤلف.

وقد ركزت أغلب الاتجاهات البنيوية على الإعلاء من سلطة النص، ولم تعر اهتماماً لما خارجه على عكس الاتجاه التفكيكي والتشريحي الذي أعلى من سلطة القراءة، والقارئ مع التأكيد على نفي إمكانية تحقيق قراءة موضوعية؛ لأن القراءة هي تجربة شخصية، كما لا سبيل إلى إيجاد تفسير واحد لأي نص، وسيظل النص يقبل تفسيرات مختلفة ومتعددة بعدد مرات قراءته<sup>(33)</sup>.

وكل ظاهرة - تبعاً للنظرية البنيوية - يمكن أن تشكل بنية بحد ذاتها، فالأحرف الصوتية بنية، والضمائر بنية، واستعمال الأفعال بنية... وهكذا، وتتلاقى المواقف البنيوية عند مبادئ عامة مشتركة لدى المفكرين الغربيين، وفي شتى التطبيقات العملية التي قاموا بها، وهي تكاد تندرج في المحصلات التالية:

- 1- السعي لحل معضلة التنوع والتشتت بالتوصل إلى ثوابت في كل مؤسسة بشرية.
- 2- القول بأن فكرة الكلية، أو المجموع المنتظم هي أساس البنيوية، والمردُّ الذي تؤول إليه في نتيجتها الأخيرة، ولئن سارت البنيوية في خط متصاعد منذ نشوئها، وبذل العلماء جهداً كبيراً لاعتمادها أسلوباً في قضايا اللغة، والعلوم الإنسانية والفنون، فإنهم ما اطمأنوا إلى أنهم توصلوا من خلالها إلى المنهج الصحيح المؤدي إلى حقائق ثابتة.
- 3- في مجال النقد الأدبي، فإن النقد البنيوي له اتجاه خاص في دراسة الأثر الأدبي يتلخص: في أن الانفعال والأحكام الوجدانية عاجزة تماماً عن تحقيق ما تنجزه دراسة العناصر الأساسية المكونة لهذا الأثر، لذا يجب أن تفحصه في ذاته، من أجل مضمونه، وسياقه،

وترابطه العضوي، فهذا أمرٌ ضروري لا بد منه لاكتشاف ما فيه من ملامح فنية مستقلة في وجودها عن كل ما يحيط بها من عوامل خارجية<sup>(34)</sup>.

4- يقرر رولان بارت أنه لا يمكن حصر المحكيات في العالم، فهي حاضرة في الأسطورة والحكاية الخرافية، والحكاية والقصة، والملحمة والتاريخ، والتراجيديا والدراما، والكوميديا وفي المسرحية الإيمائية، وحتى في اللوحة والرسم على الزجاج، وفي السينما والبرلمان، كما هي موجودة في المحادثة، وفي كل الأزمنة والأمكنة، حيث لا يوجد شعب دون حكاية المحكي حاضر، مثل: الحياة، وهو عالم يتجاوز للتاريخ والثقافات. ويضيف بارت في هذا الصدد بقوله: علّمنا الشكلايون الروس، وبروب، وكلود ليفيشتراوس أن المحكي إما مجرد كلام فارغ، أو أنه يمتلك بنية قابلة للتحليل، ليتساءل أين نبحت إذاً عن بنية الحكاية؟، يجعل رولان بارت من الإنجازات الألسنية نقداً منطلقاً لدراسته البنيوية، وفي موقفه العام أن اللسانيات قد غرقت في التصنيفات العديدة المتشابهة للمحكي، فإذا كانت اللسانيات قد اعتبرت أي خطاب- بما فيه المحكي- غير متحقق خارج الجملة يضع بارت الفرضية التماثلية التالية: المحكي جملة كبيرة حيث المحكي بنيوياً شريك الجملة دون إمكانية اختزاله إلى مجموعة من الجمل، فلم يعد ممكناً اليوم تصور الأدب كفن لا يهتم بأي علاقة مع اللغة منذ أن يستخدمها كأداة للتعبير عن الفكر والعاطفة أو الجمال ألا يصنع الأدب اليوم لغة بالشروط نفسها للغة؟<sup>(35)</sup>.

آراء علماء اللغة العرب القدامى في البنيوية:

أولاً- سيبويه:

يدرج سيبويه معنى البنية في كتابه بلفظ: المسند والمسند إليه، فيرى أن المسند والمسند إليه هما ما لا يستغني أحدهما عن الآخر، وبهذا يصبحان كأنهما لفظ واحد<sup>(36)</sup>.

### ثانياً - الجاحظ:

فإنه يرى أن النظم هو ما وافق اللفظ لمعناه، وتآلف الألفاظ، وحسن تنظيمها كأنها لفظ واحد، ومعظم كلام الجاحظ حول نظم الأشعار، يقول: "وأجود ما رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً، فهو يجرى على اللسان كما يجري على الأذهان"<sup>(37)</sup>.

### ثالثاً - عبد القاهر الجرجاني:

سبق عبد القاهر الفكر الغربي في معرفة التركيب، في نظريته النظم، ويكون قد طابق ما يطلق عليه اللغويون الغربيون اسم: Syntqxe، أو علم التركيب الذي يختص بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة وحركة العناصر<sup>(38)</sup>.

واختار الجرجاني لفظ: النظم، بديلاً عن التركيب أو البنية؛ إذ يقول: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها"<sup>(39)</sup>.  
وقد قسم عبد القاهر النظم إلى قسمين:

أ- نظم الحروف، ويرى أن نظم الحروف يراعى فيها الانسجام، فلو قلنا: ربض، مكان: ضرب، لما حدث ما يفسد المعنى.

ب- نظم الكلمات، فإذا تقفينا فيه آثار المعاني كالرتبة، والمطابقة، والإسناد<sup>(40)</sup>.

لم تنتشر البنيوية في العالم العربي بالقدر الذي انتشرت به في الغرب حيث إنها تتوزع في كل المجالات، سواء في العلوم الإنسانية، أم في غيرها من الأبحاث، فقد تمركز هذا المنهج في النقد الأدبي دون غيره.

### البنيوية عند علماء العرب المحدثين:

أولاً- الدكتور: عبد السلام المسدي، يرى أن البنيوية تجرأت على النص، وأزاحت ما كان يحيط به من هالة قدسية تعيق عن الرؤية الموضوعية المتأنتية إضافة إلى أن موت المؤلف، كانت الفكرة الجانية عليها.

ثانياً- الدكتور سعد أبو الرضا لمحات، له رأي آخر في البنيوية، حيث يعتقد:

أ- أن النظرة المادية لواقع النص، أو ما يتصل به، تجعل الاتجاه البنيوي يتجاوز حدوده في تحليل النصوص المقدسة.

ب- حينما يؤمن هذا الاتجاه بالواقع دون غيره في تحليل النص، فيتجاهل ما فوق الواقع والقيم الأخلاقية، فذلك ينافي تحقيق التفاعل بين النص والمتلقي، فضلاً عن الإخلال بالاعتقاد الإسلامي.

ج- الإيمان الأعمى والمطلق من أصحاب هذا المنهج بما يكتبون، يجعلهم رافضين لكل نقد، أو ملحوظة، مما يمنع التواصل المثمر للرفع من قيمة النقد.

د- حرص البنيويين على عزل النص عن صاحبه، موت المؤلف، يمنع من معرفة ظروف هذا النص المساهمة في تحليله.

ثالثاً- شكري عياد، يقول: إن هذا التناقض هو ديدن الحضارة، الساعية لتحويل كل عمل إنساني إلى نظام مجرد، لكن الأدب اصطدم بها، فهو يعبر عن حالة الإنسان الشعورية.

4- الدكتور حمودة: يعتقد أن فشل البنيوية الحقيقي هو عجز المنهج عن تحقيق المعنى، وإن سلم يجتاحه في تحليل اللغة، إلا أنه ينفي كفاءته في تحليل النصوص<sup>(41)</sup>.



### أهم النتائج:

- 1- إن لفظة بنية وبنوية وبنائية هي بمعنى واحد ولا يختلف معناها من لفظ إلى آخر.
- 2- البنوية أو النظرية البنائية ليست موضوع خاص باللغة العربية فحس، بل هي نظرية في جميع مجالات البناء.
- 3- استعمل مصطلح البنية في القديم والحديث، وربما كان في العصر الحديث بمعنى آخر مغاير لمعناه القديم.
- 4- اهتمت أغلب المدارس الغربية بالمصطلح وبالنظرية، فتناولوها من جميع جوانبها بالدراسة والشرح والتحليل والتطبيق.
- 5- إلغاء البنوية للمؤلف جعلت لها أهمية كبرى باعتمادها على الدال والمدلول، والتركيز عليهما.
- 6- صارت البنوية منهجا نقديا يعتمد عليه علماء اللغة المحدثين.
- 7- لم تعد البنوية مقتصرة على اللغة فقط، وإنما دخلت مجالات عدة للغوية منها وغير اللغوية، مثل: التوليدية النفسية، الفلسفية، الدلالية، النقد الأدبي وغيرها.

### هوامش البحث:

- 1- ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة للنشر، الطبعة الثانية، بيروت لبنان، سنة: 1980م، ص: 175.
- 2- المدخل اللغوي في نقد الشعر، قراءة بنوية، مصطفى السعدني، دار المعارف للنشر، الإسكندرية مصر، سنة: 1987م، ص: 11.
- 3- سورة الكهف، الآية: 32.

- 4- سورة البقرة، الآية: 22.
- 5- ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، مصدر سابق، ص: 175.
- 6- المدخل اللغوي في نقد الشعر، قراءة بنيوية، مصطفى السعدني، مصدر سابق، ص: 12.
- 7- البنيوية في الفكر الفلسفي، عمر مهيب، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، الجزائر، سنة: 1993م، ص: 16.
- 8- مبادئ اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية إستراتيجية، الطيب دبه، دار القصة للنشر، الطبعة الأولى، الجزائر، سنة: 2001م، ص: 41.
- 9- المدخل اللغوي في نقد الشعر، قراءة بنيوية، مصطفى السعدني، ص: 15.
- 10- ينظر: أساسيات في اللغة العربية، زايد مقابلة، مكتبة الفجر، الطبعة الأولى، سنة: 1988م، ص: 218 - 220.
- 11- ينظر: أساسيات في اللغة العربية، زايد مقابلة، ص: 218 - 220.
- 12- ينظر: أساسيات في اللغة العربية، زايد مقابلة، ص: 218 - 220.
- 13- ينظر: في معرفة النص، يماني العيد، منشورات دار الأفق الجديدة، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، سنة: 1985م، ص: 27.
- 14- ينظر: البنيوية، جان بياجيه ترجمة، عارف منيمنة، وبشير أبري، منشورات عويدات، بيروت باريس، الطبعة الرابعة، سنة: 1985م، ص: 64 ، 65.
- 15- مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، معرفة الآخر، عبدالله إبراهيم وآخرون، ص: 05.
- 16- ينظر: المنهج البنيوي، بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، الزواوي بغورة، دار الهدى للنشر، الطبعة الأولى، الجزائر، سنة: 2002م، ص: 147.
- 17- ينظر: البنيوية، جان بياجيه، ص: 111.

- 18- ينظر: عصر النبوية، إديتكروزوبل، ص: 290.
- 19- ينظر: النبوية والتحليل الأدبي، العرب والفكر العالمي ميشال فوكو، ترجمة: محمد الخماسي، ص: 15.
- 20- ينظر: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، فرحات بدري الحربي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، سنة: 2003م، ص: 34.
- 21- ينظر: اللغة الثانية، فاضل ثامر، المركز الثقافي بيروت، الدار البيضاء، سنة: 1994م، ص: 43.
- 22- ينظر: أساسيات اللغة العربية، ص: 221.
- 23- ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، مصدر سابق، ص: 37.
- 24- ينظر: المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار مأمون للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، مصر، سنة: 1979م، ص: 445.
- 25- ينظر: المنهج البنيوي بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، الزواوي بغورة، ص: 74.
- 26- ينظر: في معرفة النص، دراسات في النقد الأدبي، يمنى العيد، مصدر سابق، ص: 43.
- 27- ينظر: اللسانيات، عبدالرحمن الحاج صالح، معهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر سنة: 1972م، مجلد: 2، رقم: 1، ص: 45.
- 28- ينظر: في معرفة النص، دراسات في النقد الأدبي، يمنى العيد، ص: 44.
- 29- ينظر: المصدر السابق، ص: 44.
- 30- ينظر النظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، ص: 322، ونظرية الأدب المعاصر، ديفيد بشبندر، ترجمة عبدالمقصود عبدالكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: 1996م، ص: 66.

- 31- ينظر: فاضل ثامر: اللغة الثانية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، سنة: 1999م، ص: 152.
- 32- ينظر: من فلسفة الوجود إلى البنيوية، أ. ت. أسخاروفا، دار المسيرة، بيروت لبنان، سنة: 1984م، ص: 167.
- 33- البنيوية، فلسفة موت المؤلف، روجيه غارودي، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، سنة: 1985م، ص: 43.
- 34- ينظر: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريرية، عبد الله الغدامي، العربية السعودية، سنة: 1895م، ص: 83.
- 35- ينظر: من البنيوية إلى الشعرية، رولان بارت، وجيرار جينيت، ترجمة غسان السيد، دار نينوى للنشر، نقلا عن صحيفة المستقبل، الاثنتين: 29 آذار 2004م.
- 36- ينظر: الكتاب لسبيويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، الطبعة الثانية: 1/ 23.
- 37- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت لبنان: 1/ 67.
- 38- ينظر: التركيب عند ابن المقفع في مقدمات كتاب كليله ودمنة، المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة: 1982م، ص: 15.
- 39- ينظر: دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق وشرح: عبدالمنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، الطبعة الأولى، سنة: 1969م، ص: 65.
- 40- ينظر: المصدر السابق، ص: 49.
- 41- ينظر: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريرية، عبد الله الغدامي، ص: 102.